موسوعة البلاغة

الجزء الأول

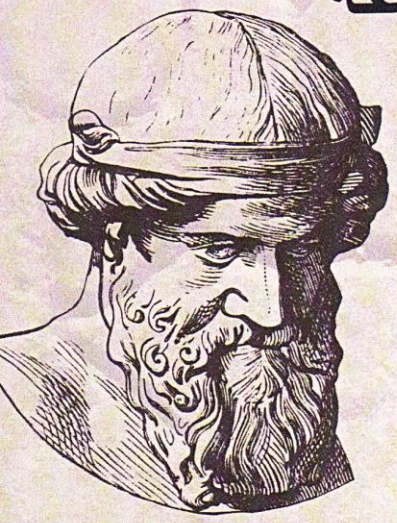

تحرير: توماس أ. سلوان

ترجمة: نخبة

إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف

مراجعة: عماد عبد اللطيف

مصطفى لبيب

المركز القومي للترجمة

2699

موسوعة البلاغة

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2699
- موسوعة البلاغة (الجزء الأول)
- توماس أ. سلوان
- نخبة
- عماد عبد اللطيف، ومصطفى لبيب
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:
Encyclopedia of Rhetoric First edition
By: Thomas O.Sloane
Copyright © 2001 by Oxford University Press,Inc
"Encyclopedia of Rhetoric First Edition was originally published in English in 2001. This translation is published by arrangement with Oxford University Press."
All Rights Reserved

موسوعة البلاغة: نشرت الطبعة الأولى في الأصل باللغة الإنجليزية عام ٢٠٠١، ونشرت هذه الترجمة بالاتفاق مع مطبعة جامعة أكسفورد

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

موسوعة البلاغة

(الجزء الأول)

تحـــــــــــرير : توماس أ. سلوان

إشـــراف وتقـــديم : عماد عبد اللطيف

ترجمة

بدر مصطفى	عماد عبد اللطيف
حجاج أبو جبر	محمد الشرقاوي
حسام أحمد فرج	محمد فوزي الغازي
خالد توفيق	محمد مشبال
عزة شبل	مريم أبو العز

مهـــا حســـان

مراجعة

عماد عبد اللطيف

مصطفى لبيب

2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

موسوعة البلاغة (الجزء الأول) / تحرير توماس أ.سلوان / ترجمة فريق عمل؛ مراجعة: عماد عبد اللطيف - مصطفى لبيب؛ إشراف وتقديم عماد عبد اللطيف
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦
٨٨٨ ص، ٢٤ سم
(أ) سلوان / توماس أ (محرر)
(ب) عبد اللطيف ، عماد (مراجع ومشرف ومقدم)
(ج) لبيب ، مصطفى (مراجع مشارك)
(ب) العنوان ٤١٤,٠٣

رقم الإيداع: ٨٢٥٨ /٢٠١٥
الترقيم الدولى 0 - 231 - 920 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي، وتعريفه بها. والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

تقديم 11

شكر وعرفان 25

تقديم محرر الموسوعة 26

الحجاج الموجه إلى شخص Ad Hominem Argument 34

البلاغة الأفرو- أمريكية African- American Rhetoric 43

البلاغة التحريرية Abolitionist rhetioric 55

الوعى المزدوج Dounle- comsciousness 65

القومية السوداء Black Nationalism 75

الأمثولة (القصة الرمزية أو الكنائية) Allegory 85

الجناس Allitration 94

الغموض Ambiguity 96

الاستفاضة أو الإسهاب Amplification 110

تكرار النهاية والابتداء Anadiplosis 113

جناس الصدارة Anaphora 114

الإقلاب Anastrophe 116

الصوت الواحد والمعنى المختلف Antanaclasis 118

الإبدال Antisthecon 119
التقابل الدلالى Antithesis 121
حذف الصوت الأول Aphaeresis 124
القطع أو الحذف (الصوتى) Apocopē 125
التشكك Aporia 127
الانقطاع (البلاغى) Aposiōpēsis 128
الالتفات Apostrophē 129
البلاغة العربية Arabic Rhetoric 130
الحجاج Argumentation 143
حقول الحجاج Argumantation 155
الترتيب Arrangement 165
الترتيب الحديث Modern arrangement 176
فن الكتابة Ars dictaminis 192
الفن Art 197
التوازى الصوتى Assonance 208
الفصل (حذف العاطف) Asyndeton 209
الجدل الأتيكى – الأسينى Atticist – Asianist Controversy 210
الجمهور Audience 215
الجماهير الغفيرة Mass audiences 244

الجماهير الافتراضية Viertual Audiences 256
الإسها الإطنابى Auxēsis 268
الحملات الانتخابية Campaigns 269
الإفتاء فى مسائل الخير والشر Casuistry 287
الاستعارة الضرورية Catachrēsis 303
التوازى التقابلى Chiasmus 304
البلاغة الصينية Chinese rhetoric 306
البلاغة الكلاسيكية Classical Rhetoric 315
اللون Color 378
المصنفات وكتب التصنيف Commonplaces and commonplace books 389
التواصل Communication 405
البلاغة المقارنة Comparative 441
الإنشاء Composition 459
تاريخ أقسام الإنجليزية فى الجامعات الأمريكية 472
التعداد Congries 479
الشرط والاحتمال Contingency and Probability 480
الخطبة الإقناعية والجدلية Controversia and Suasiria 516
الجدال Convivtion 525
تكوين القناعات Convivtion 531

الوفرة Copia 542
التصحيح Correctio 547
المصداقية Credibility 549
النقد Criticism 558
المناظرة Debte 586
الخطبة التعليمية Deciamation 604
الملاءمة Decorum 610
نوع الخطب التشاورية (السياسية) Deliberative genre 636
الإلقاء Delivery 658
الوصف (Description) 667
ديالكتيك Dialectic 671
الاستطراد Digression 683
بلاغة القرن الثامن عشر Eighteenth – Century rhetoric 685
الحذف التقديرى Ellipsis 713
البيان (الكلام المنمق) Eloquance 714
التبديل Enallage 743
القياس الإضمارى Enthymeme 744
رد العجز على الصدر Epanalepsis 754
التقسيم Epanodos 755

الإتباع Epenthesis 756
النوع الوصفى Epideictic 757
التكرار Epiphora 774
بلاغة الرسائل Epistulary rhetoric 775
النكوص Epistrophe 786
التكرار التأكيدى Epizeuxis 787
جدالى Eristlic 788
الانتحال [تقمص الشخصية] Ēthopoeia 793
الإيتوس Ethos 795
الشاهد القصصى Exemplum أو Example 833
الحث [النصح أو الوعظ] Exhortation 839
التنوع الكلاسيكى Classical Variation 843
المصلحة Expediency 852
بلاغة العرض والإيضاح والصحافة Expository rhetoric journalism 860

تقديم
بلاغة جديدة لعالم جديد

عماد عبد اللطيف

شغل حُلم تطوير البلاغة العربية مساحة رحبة من وعي أجيال متواصلة من الباحثين العرب؛ بداية من محاولات تحديث دروس البلاغة التعليمية في الأزهر الشريف على يد الإمام محمد عبده، مرورًا بتحديث مسائل العلم ومنظوراته، كما تجلت في كتابات أحمد ضيف وأمين الخولي وسلامة موسى... وصولاً إلى محاولات تحديث البلاغة بواسطة دمجها مع (أو إخفائها في طيات) النقد الأدبي وعلم الأسلوب وعلوم الاتصال والتأويليات في السبعينيات والثمانينيات، والتداولية والسيميوطيقا وعلم النص وتحليل الخطاب في تسعينيات القرن العشرين والعقد الأول من قرننا الحالي. وهي علوم أتاحت للبلاغة أن ترفل في بريق الموضة الأكاديمية، الذي يجذب الأبصار ويغوي العقول.

كان طموح تحديث البلاغة، يستند إلى وصفة تقليدية للتحديث صاغها الشيخ أمين الخولي في عبارة؛ "أول التجديد قتل القديم فهمًا". غير أن معايشة القديم شيء، وإعاشته شيء آخر. فنظرة سريعة على الإسهامات المهمة في البلاغة العربية على مدار القرن الماضي، تبرهن أن وصفة "قتل القديم فهمًا" لا تُفلح – بمفردها– في إحيائه، ولا تُنجز – وحدها– تحديثه. وبوحي من

عبارة أمين الخولي السابقة يمكن استكمال وصفة التحديث عبر فعل آخر هو "امتلاك الجديد نقدًا". إن إطلالة على اللحظة التاريخية التي نشأت فيها البلاغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، تبرهن على الدور المؤثر الذي لعبه الاحتكاك الإيجابي بالآخر المختلف حضاريا (الهندي والفارسي واليوناني..)؛ سواء جاء هذا الاحتكاك في شكل الإفادة من المنجز البلاغي للآخر (مثل صحيفة بشر وكتابات أرسطو..)، أو في شكل الدفاع (المعرفي) عن بلاغة الذات في مقابل انتقادات الآخر، كما رأينا في دفاع أصحاب معاني القرآن وإعجازه عن بلاغة النص القرآني، ودفاع الجاحظ عن الممارسات الخطابية للعرب في مواجهة اتهامات الشعوبيين.

في الوقت الراهن، يكاد يقترن "الجديد" بما تقدمه البلاغة الغربية في وعي كثير من الدارسين. وغالبًا ما يتخذ البلاغيون العرب أحد موقفين متعارضين من هذا الجديد. الأول يغلب عليه استلاب المفتون، والثاني يغلب عليه نبذ الكاره. ونادرًا ما يُتبنى منظور نقدي في التعامل مع الجديد البلاغي؛ بما يتيح موقفًا متوازنًا منه. فقد اعتادت عين المفتون أن تكون عن كلِّ عيبٍ كليلة، كما اعتادت عين الكاره أن تكون لكلِّ خيرٍ منكرة.

إضافة إلى ذلك، فإن مأزق تحديث البلاغة يتعمق حين نعترف بحقيقة أنَّ المعرفة البلاغية العربية لم تكن طوال الوقت مشغولة بالحياة العربية كما يجدر بها أن تكون. فكل معرفة لا تحرث في أرض الحياة تظلُّ معلَّقةً – كالمشنوقة– بين حبال التنظيرات. وقد عاشت البلاغة العربية، أيام مجدها، حياة شاب جسور يُصارع الواقع ويفاوضه، ويستجيب له، ويغيِّره؛ غير أن الحال انتهتْ بها عجوزًا محاصرةً داخل صومعة الشروح والحواشي والتعليقات، معزولةً عن فضائها الحيوي، حبيسة سجن ماضيها العتيق. وبعد أن كانت كينونة نابضة، تستمد حيويتها من سيرورة المجتمع وثراء تحولاته،

انكمشت لتصبح حروفًا وكلمات مرتعشة داخل دفات كتبٍ مولعةٍ بالنقل، وقاعات درسٍ مُفعمة بالتلقين.

لقد بذل البلاغيون العرب على مدار العقود الماضية جهودًا كبيرة لإنعاش البلاغة العجوز، ومنحِها قبلة حياة، أو جرعةً من أُكسير الشباب. وكان عمل البعض منهم مثيرًا للإعجاب بفضل تحلِّيه بسمتي العبقرية؛ أقصد البصيرة والإخلاص. غير أنَّ قطرات المطر المتقطع، نادرًا ما تُفلح في أن تصنع أنهرًا. وها نحن بعد أكثر من قرن ونصف على دعوة تحديث البلاغة لا نجد أمامنا إلا سلسلة متقطِّعة من الخلجان. وهو أمر يدعو للأمل بقدر ما قد يثير الأسى. إن نظرة من شاهق على خلجان البلاغة الراهنة، قد تتيح لنا تأملاً أعمق للتحديات التي تحول دون اكتمالها متدفقة في صورة أنهار. ويبدو للناظر أن بلاغتنا الراهنة تواجه خمسة تحديات كبرى:

الأول: انشغالها بالتراث البلاغي العربي وإهمالها بدرجة ما للمنجزات النظرية والتطبيقية البلاغية المعاصرة. ويتجلى هذا الانشغال في أمور منها؛ كمّ البحوث المكرسة لدراسة النصوص التراثية قياسًا بتلك المكرسة لدراسة نصوصٍ معاصرة؛ عربية أو غير عربية. إضافة إلى هيمنة مفاهيم تراثية للبلاغة على الإدراك الأكاديمي والشعبي للعلم، خاصة المفاهيم السكاكية؛ فحين تُذكر البلاغة غالبًا ما ينصرف الذهن – الأكاديمي والعام – إلى العلوم الثلاثة المشكِّلة للبلاغة المدرسية. وقد يحتاج المرء إلى أن يُحاجج بإلحاح ليبرهن لقارئه أو محدِّثه أن ثمة "بلاغات" أخرى مغايرة.

الثاني: انشغالها بالنصوص العليا مثل القرآن الكريم والشعر والنثر الأدبي على حساب خطابات الحياة اليومية. لقد نشأت البلاغة في حضن الحياتي؛ وعاشت طفولتها في كنف الديني والاجتماعي والسياسي، وحين انشغلت – قديمًا – بنصوص مثل الوصية والحكمة والخطابة والشعر، كانت

الوظائف التداولية لهذه النصوص هي حافز إنتاجها، في حين كانت الخصوصية الجمالية أداةً لتحقيق الوظائف التداولية. كانت هذه الأنواع تنتمي بالأساس إلى الحياتي، وليس إلى الأدبي. ورغم تغيُّر الزمن فإن البلاغة العربية ظلت متشبثة بنصوصها؛ بغض النظر عن تغيُّر وظائفها. وقد أدى هذا إلى استمرار التركيز على نصوص انتقلت بشكل شبه كلي من دائرة الحياتي إلى دائرة الأدبي، ومن هيمنة الوظيفة التداولية إلى هيمنة الوظيفة الشعرية (الجمالية). وكان عدم التفطن لوظيفة البلاغة بوصفها الحقل المعرفي الذي يدرس الإقناع والتأثير في الفضاء العام، أي يدرس الحياتي اليومي (ولنقل دون تحرج "الشعبي" أيضًا)، حاجزًا دون الاهتمام بنصوص وأنواع وخطابات حياة يومية جديدة، تشكَّلتْ – أو تكاد – بمعزل عن علم البلاغة القديمة. وكان من نتائج ذلك ظهور تحدٍ جديد، هو انعزال البلاغة بوصفها علمًا عن خطابات الحياة المعيشة، بوصفها غاية العلم ووعاءه.

الثالث: انفصال البلاغة عن مشكلات المجتمع وتحولها إلى ممارسة أكاديمية شبه منعزلة عن سياقات إنتاجها الاجتماعية والسياسية. فقد كان أبرز ملامح مشاريع تحديث البلاغة في النصف الأول من القرن العشرين هو السعي الحميم إلى توثيق العُرَى بينها وبين طموحات المجتمعات العربية الناهضة، خاصة في الثلاثينيات والأربعينيات. ومن هذه الزاوية، يمكن القول إن مشروع الخولي لتحديث البلاغة – في وجهٍ من وجوهه – مشروع تربوي، هدفه إصلاح الذائقة الفنية للمعلمين والطلاب معًا. وكتابه فن القول (الذي يدعو فيه إلى إحلال علم للإنشاء محل البلاغة السكاكية التقليدية) هو التجلي الأبرز لذلك[1]. أما دعوة سلامة موسى لتطوير البلاغة – في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية"– فكانت وثيقة الصلة بمشروعه للنهوض

---

(١) انظر، فن القول، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٦. ومناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

بالمجتمع. فقد دعا إلى بلاغة جديدة تخدم الحياة العصرية، وتشارك في تطوير الأمم؛ بلاغة تنجز أربع غايات أساسية هي (١) الوصول إلى التفكير المنطقي السديد الذي يؤمَن فيه من الخطأ؛ (٢) تحريك الذكاء، وتدريبه بالكلمات؛ (٣) معرفة كيف نستعمل الكلمات للتفكير التوجيهي؛ (٤) معرفة كيف تُستعمل الكلمات للتحريك الاجتماعي[١]." حتى الكتابات التي كانت تنتصر للأساليب القديمة مثل كتاب أحمد حسن الزيات "دفاع عن البلاغة"، الذي يحاكم فيه لغة الصحافة في أربعينيات القرن العشرين، كانت تنطلق من فرضية غير معلنة هي الصلة الوثيقة بين البلاغة والممارسات اللغوية الحياتية في المجتمع.

لم تستطع دعوات الربط بين البلاغة والمجتمع الصمود أمام اختبار الزمن. ربما يرجع ذلك إلى أن أغلبها لم يتحول من دعوات وطموحات إلى مشاريع وخطط عمل تفصيلية. كما أن مناخ الحريات الأكاديمية والمعرفية الذي أُنجزت فيه هذه الدعوات قد تغيَّر بشكل جذري في خمسينيات القرن العشرين وستينياته؛ فبصعود الحركات العسكرية إلى سُدَّة الحكم عرفت جمهوريات العالم العربي الناشئة تقييدًا واسعًا للحريات الأكاديمية والمجتمعية، وكان من جرَّاء ذلك أن تراجعت دعوات ربط البلاغة والمجتمع، وبدأ فصل جديد من فصول التجديد؛ انشغلت فيه البلاغة بدراسة الأساليب، وعادت مرة أخرى إلى حضن التحليل الشكلي للأساليب والظواهر البلاغية، بمعزل، في حالات كثيرة، عن سياقات إنتاجها واستهلاكها ووظائفها التداولية. وعلى الرغم من وجود بعض الجهود المتميزة لدراسة خطابات المجتمع، خاصة في العقدين الأخيرين، فإننا ما زلنا بحاجة إلى أن تتحول هذه الجهود إلى تيار مؤثِّر من تيارات الدرس البلاغي العربي.

---

(١) انظر، سلامة موسى، *البلاغة* العصرية واللغة العربية، المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٤٥- ١٠٥.

الرابع: ضعف الاحتفاء بالطبيعة عبر النوعية لعلم البلاغة. لقد مهَّد الشيخ أمين الخولي لمشروعه في تحديث البلاغة أوائل القرن العشرين، بمحاضرات حول العلاقة بين علم البلاغة وعلوم أخرى من أبرزها علم الجغرافيا وعلم النفس، نشرها بعد ذلك في كتابه "مناهج تجديد". ويكشف هذا الصنيع عن وعيٍ مبكر بأن أيَّة محاولة لتجديد العلم، لابد أن تتضمن مراجعةً عميقة للعلاقة بينه وبين العلوم التي تتقاطع معه، أو تتداخل فيه، أو تتنازعه موضوعه، أو تقدم له عُدَّة تحليلٍ وآليات مقاربة. وهي شبكة كبيرة من العلوم؛ تتضمن – على سبيل المثال لا الحصر– علوم الاجتماع والنفس والسياسة والجغرافيا والأدب واللغة والتاريخ والفلسفة والتواصل والأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا وغيرها. وربما لا يكون من المبالغ فيه القول إن كل العلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون القولية والأدائية ذات صلة بعلم البلاغة من زاوية أو أخرى، وبدرجات متنوعة. ومن ثمَّ، فإن أية محاولة لاستكشاف آفاق تحديثية لعلم البلاغة لابد أن تشمل مراجعة علاقته مع العلوم ذات الصلة، وإدراك أنه – في جوهره – علم بينِي يحتضن معارف ومقاربات وخبرات إنسانية شديدة التنوع. من المؤكد، أن كثيرًا من الدراسات الحديثة والمعاصرة تنطلق من إدراك للعلاقات الوشيجة بين علم البلاغة وعلوم معاصرة مثل السيميائيات والتداولية وتحليل الخطاب وعلم اللغة والدراسات النقدية. غير أن هذه العلاقات لا تُدرَس – غالبًا– على نحو جلي، ولا تناقش – دومًا– بشكل تفصيلي.

الخامس: بطء تطور البُعد التربوي والتدريسي للبلاغة بنفس درجة تطور بُعدها الأكاديمي. فقد شهد الدرس البلاغي العربي محاولات متعددة للتطوير والتجديد على مدار القرن ونصف الماضيين. ومن الطبيعي أن يتأثر تدريس البلاغة العربية في الأكاديميات والمدارس العربية بهذه المحاولات، بما ينعكس على أهداف التدريس وطرقه ومناهجه ومقرراته وأساليب تقييمه ووسائطه وغيرها. غير أن إطلالة بانورامية على ما أتيح لي الاطلاع عليه

من كتب البلاغة التعليمية في العالم العربي المنساب بأريحية بين خليج ومحيط تبرهن على وجود فجوة كبيرة بين التطور في دراسة البلاغة وفي تدريسها. فما زالت البلاغة السكاكية بتقسيماتها التقليدية ومسائلها وشواهدها ولغتها مهيمنة على تدريس البلاغة العربية. وتكاد تتوقف محاولات تطوير تدريس البلاغة على إجراء تغييرات محدودة في المتن السكاكي؛ غالبًا ما تشمل حذف بعض التفريعات، وتقليص الشواهد، والتخفيف من حضور القضايا الجدلية، والنقاشات الخلافية، وإحلال بعض الشواهد الحديثة محل القديمة، وإدراج بعض المقدمات الافتتاحية الممهِّدة للأبواب البلاغية. ومن الجلي أنَّ البلاغة السكاكية ليست – في أفضل الأحوال– إلا توجهًا من توجهات البلاغة العربية في مرحلةٍ من مراحل تطورها، وأن أيَّة محاولة أمينة لتدريس البلاغة، لابد أن تحتفي بتوجهات أخرى في إطار البلاغة العربية وخارجها أيضًا.

تطرح هذه التحديات على البلاغيين العرب مسئولية السعي نحو تطوير دراستها وتدريسها. وقد حاولت على مدار العقدين الماضيين إنجاز مشروع معرفي لتطوير البلاغة العربية وتحديثها، يقوم على مراجعة شاملة لمادة العلم ومنهجياته ووظائفه وجمهوره وعلاقاته بغيره من العلوم[1]. وكان أحد سبل هذا التطوير العمل على دعم الانفتاح على مقاربات ومناهج معاصرة غير مألوفة للدارسين والمتعلمين. ويتحقق هذا بالاتصال المباشر بالكتابات

---

(١) لمزيد من التفصيل النظري والدرس التطبيقي لهذا المشروع يمكن الرجوع إلى: "**تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف**". (٢٠١٤). دار كنوز المعرفة. الأردن؛ و"**بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة**". (٢٠١٢). دار التنوير، بيروت– القاهرة – تونس؛ و"**إستراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي**". (٢٠١٢). الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ و"**البلاغة والتواصل عبر الثقافات**". (٢٠١٢). سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة. و"**لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن**". (٢٠٠٩). دار العين، القاهرة؛ "**البلاغة في المجتمع: آفاق جديدة لحقل معرفي قديم**" (قيد النشر).

الأجنبية المؤسِّسة في حقل البلاغة، وذلك أمر ربما يكون غير متيسر لبعض الدارسين ممن يجدون صعوبة في الاطلاع على المصادر والمراجع في لغاتها الأصلية. ومن هنا تظهر الحاجة الملحة إلى ترجمة بعض الكتب التي لا غنى عنها، وعلى رأسها الموسوعات ودوائر المعارف المتخصصة؛ مثل "موسوعة أكسفورد في البلاغة".

تُعد موسوعة أكسفورد الأضخم والأكثر شمولاً من بين الموسوعات الحديثة المكرَّسة لعلم البلاغة. وقد صدرت في نسختها الورقية في العام ٢٠٠١، وفي نسختها الإلكترونية في العام ٢٠٠٦. تتضمن الموسوعة أكثر من مائتي مدخل، وتقدم معلومات وافرة عن آلاف المفاهيم والمصطلحات والظواهر والكتب والمدارس والشخصيات وثيقة الصلة بالبلاغة. وتعالج مدىً واسعًا من الموضوعات التي تقع في صلب علم البلاغة أو تتقاطع معه أو تتماس به. تقدم الموسوعة صورة دقيقة ومفصَّلة وطازجة للبلاغة في ماضيها وحاضرها، مولية اهتمامًا متميِّزًا للآفاق التي ترتادها في الوقت الراهن، وتلك التي يمكنها ارتيادها في المستقبل. وقد شارك في تأليف الموسوعة نخبة من أبرز دارسي البلاغة في العالم المعاصر وأشهرهم قاطبة. وحرص هؤلاء على إتاحة معلومات دقيقة وشاملة حول المداخل التي قاموا بتأليفها. وتيسيرًا على القراء الراغبين في مزيد من المعرفة، فقد ذُيِّل كل مدخل بقائمة من المصادر والمراجع، تتضمن تعليقات إرشادية موجزة، لمحتوى كلٍّ منها وأهميته.

تمتد الفترة الزمنية التي تغطيها الموسوعة لأكثر من ثلاثة آلاف عام؛ وإذا وضعنا حديث جورج كينيدي المقتضب عن البلاغة الفرعونية في الاعتبار، فإن هذه الفترة قد تصل إلى أربعة آلاف عام تقريبًا. ويتوازى هذا الامتداد الزمني الشاسع مع امتداد جغرافي مماثل؛ فقد مُثِّلت البلاغة في قارات العالم القديمة والجديدة، وإنْ بشكل غير متوازن. كما شارك في تأليف

الموسوعة باحثون من أقطار العالم المختلفة؛ وإنْ على نحو رمزي، نظـرًا لهيمنة الباحثين من أمريكا وأوروبا الغربية. من الطبيعي أن يُثير هذا التنوع والاتساع الكبير في مفاهيم البلاغة ومـصطلحاتها ونظرياتهـا وإجراءاتهـا وغاياتها ووظائفها أسئلة إبستمولوجية حول طبيعة المعرفة البلاغية، وطبيعة تقديم هذه المعرفة. والموسوعة تُعد عملاً لا غنى عنه للمتخصـصين فـي العلوم الاجتماعية الإنسانية بعامة، والمتخصصين في علوم البلاغة واللغـة والأدب بخاصة.

تاريخ البلاغة: جدل الهيمنة والتهميش

احتفت الموسوعة بتاريخ علم البلاغة؛ فقد قدَّمت نُبذًا – ربمـا تتـسم بالإيجاز المقتضب– عن البلاغات العربية والـصينية والهنديـة والـسلافية والعبرية. كما أفردت مساحات شاسعة للمنجز البلاغي اليوناني واللاتينـي، ويكاد الحديث عن هاتين البلاغتين يستغرق أكثر من ثلث صفحاتها. كـذلك اختُصَّت البلاغة الأوروبية في الألفية الثانية من الميلاد بمـداخل مـستقلة، رُتِّبت بحسب الحقب التاريخية؛ فقد أُفردت مداخل مستقلة لكلٍّ من: البلاغـة في العصور الوسطى؛ وعصر الإحياء؛ والقرن الثامن عشر؛ والقرن التاسع عشر؛ والبلاغة الحديثة؛ والبلاغة فيما بعد الحداثة.

تبرهن موسوعة أكسفورد على هيمنة نزعة المركزية الغربيـة فـي التأريخ لعلم البلاغة. ويذكر توماس سلوان – محـرر الموسـوعة – فـي مفتتحها بشكل صريح أن الموسوعة "سوف تكون ملتصقة بعمـق بـالعوالِم الأكاديمية في أوروبا وإنجلترا وشمال أمريكا؛ وهي الأمـاكن التـي تلقـت البلاغة فيها – لقرون – دراسة متخصصة، وهي، علاوة على ذلك، الأماكن التي اكتسب فيها الاهتمام البحثي بالموضوع قوة، وأصبح نـشاطًا مؤسـسيًا دوليًا على نحو كامل". ومن الجلي أن عبارة سلوان تنقصها الدقة إلـى حـد

كبير؛ فقد تلقت البلاغة لقرون دراسة متخصصة في عوالم أخرى غير أوروبا مثل الهند والصين وبلاد فارس والعالم العربي وغيرها؛ بحسب ما تكشف عنه المداخل الموجودة عن بعض هذه البلاغات ضمن موسوعة أكسفورد نفسها. كذلك تلقت البلاغة في هذه الأماكن اهتمامًا بحثيًا قويًّا على مدار قرون طويلة، نظرًا لاقترانها – غالبًا – بظواهر دينية وحياتية مؤثرة. وعلى سبيل المثال، فإنَّ نظرةً سريعة على كمٍّ المؤلفات المكرَّسة للبلاغة العربية، على مدار أكثر من ألف ومائتي عام، كفيلة بنقد الحجة التي أوردها المحرر. كذلك فإننا لا نعدم أشكالاً من التلاقح المعرفي بين هذه العوالم، حتى في فترات تاريخية مبكرة. والعلاقات المتبادلة بين البلاغات العربية والفارسية والتركية في فترة الازدهار الحضاري العربي وما بعدها شاهد على ذلك. ومع ذلك، فإننا لابد أن نلتمس بعض العذر لاتجاه الموسوعة نحو غَرْبَنَة البلاغة. فكثير من الإسهامات غير الغربية – خاصة القديمة منها– ربما لم تُقدَّم على نحوٍ كافٍ أو جيِّد للباحث الغربي في لغته وعبر منافذ نشره. ومن الضروري التصدي لهذه المهمة، التي يقع العبء الأكبر منها على عاتق الباحثين في الثقافات المهمَّشة بلاغيًّا. إضافة إلى ذلك فإنَّ دارسي البلاغة في الثقافات المهمَّشة نادرًا ما يولون اهتمامًا للبلاغات غير الغربيَّة. وليس أدلَّ على ذلك من أنَّ الدراسات العربية عن البلاغتين الفارسية والتركية – وهما وثيقتا الصلة بالبلاغة العربية– لا تُقارَن كمًّا ولا كيفًا بالدراسات العربية عن البلاغة اليونانية القديمة ولا البلاغة الغربية الحديثة. وهكذا تصبح الثقافات المهمَّشة عاملاً إضافيًّا من عوامل التهميش.

لقد كانت البلاغة طوال تاريخها ساحة لأقسى أشكال الأَثَرَة الحضارية. وقدَّمت معظم الثقافات دعاوى شبه عنصرية، تحتكر فيها البلاغة لنفسها، ولا تترك للآخرين إلا الركاكة والعيَّ والخطل. فعلى سبيل المثال، كانت مقولة

انفراد العرب دون بقية الأمم بالبديع من المقولات الشائعة بين معظم البلاغيين العرب طوال تاريخهم، رغم هشاشة المقولة، وافتقارها إلى الدليل[1]. وعلى الرغم من أنه نادرًا ما توجد ثقافة إنسانية لا تتحيز بشكل غير عقلاني للغتها وبلاغتها، فإنه يجدر بالبحث البلاغي أن ينأى بنفسه عن التحيزات غير المبرهنة، ويحتفي بالبلاغات المغايرة، ويبذل مزيدًا من الجهد للتعرف عليها وتقديرها.

أين تبدأ البلاغة؟ وأين تنتهي؟ سؤال مُغلق وإجابات مفتوحة

تقدم موسوعة أكسفورد في البلاغة دراسات معمَّقة لأبرز المفاهيم والمصطلحات والتوجهات البلاغية التقليدية. فهناك مداخل خاصة بمبادئ البلاغة أو قوانينها (الابتكار، والترتيب، والأسلوب، والحافظة، والإلقاء) وأنماط الدليل (الباتوس واللوجوس والإيتوس)، وأنواع الخطابة، والمحسنات البلاغية، والعلوم التقليدية ذات الصلة؛ مثل الفلسفة والمنطق والشعر والنحو والقانون والسياسة. وقد حافظ المؤلِّفون على الطابع الأصلي لهذه المعرفة الكلاسيكية، فاحتفظوا بأصول المصطلحات اليونانية واللاتينية..، ووضعوا بعضها في صدارة عناوين مداخل الموسوعة. وسوف لا يعدم قارئ الموسوعة شعورًا بالألفة نتيجة دوران مصطلحات ومفاهيم وأسماء معروفة في هذا الحقل المعرفي العتيق. غير أن قارئ الموسوعة سيغمره بين الحين والآخر شعور بالجِدَّة والطزاجة وربما الدهشة أيضًا، بفضل وجود مداخل غير تقليدية، وموضوعات وقضايا لم تؤلَف مقاربتُها من منظور بلاغي.

---

(١) انظر عرضًا لهذه المقولة لدى الجاحظ في "البيان والتبيين"، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٥، جـ٤، ص ٥٥.

بقدر ما كانت بلاغات الماضي محورًا لاهتمام الموسوعة، كانت بلاغات الحاضر انشغالاً من انشغالاتها. فقد عالجت الموسوعة أنواعًا بلاغية غير تقليدية، مغايرة على نحو كبير للأنواع التقليدية التي درستها البلاغات القديمة. من هذه الأنواع: الحملات الانتخابية؛ والأجناس الأدبية المهجنة؛ والنصوص المدمجة؛ والحركات الاجتماعية؛ والاتصال التقني؛ وبلاغة العرض والإيضاح. كما خصصت الموسوعة مقالات لبلاغات المهمشين؛ فأفردت – على سبيل المثال- مدخلاً للبلاغة الأفرو-أمريكية، عالج بلاغة السود في المجتمع الأمريكي، ومدخلاً للبلاغة النسوية؛ تناول ملامح بلاغة حركات الدفاع عن المرأة في العصر الحديث. كذلك اهتمت الموسوعة اهتمامًا كبيرًا بظواهر معاصرة مثل الجماهير الغفيرة والجمهور الافتراضي وبلاغة صفحات الإنترنت وبلاغة الصورة والفكاهة والموسيقى والفن. وفي الحقيقة فإن الاهتمام براهن الدرس البلاغي في العالم إحدى نقاط التميز الأصيلة لموسوعة أكسفورد في البلاغة؛ فهي تقدم لنا معرفة فاحصة حول مسائل بلاغية راهنة، تهمُّ القارئ العربي، وتكاد تحظى من الدارسين العرب باهتمام محدود أو نادر.

من المحتمل أن يؤدي تجاور مداخل تقليدية وأخرى غير تقليدية في موسوعة أكسفورد إلى مساءلة مفهوم البلاغة ذاته. ومن المؤكد أن تصفحًا سريعًا لمداخل هذه الموسوعة سوف يُنشط احتمالات التصادم بين نماذج إرشادية عديدة للبلاغة. وحين تتصادم هذه النماذج فإننا كثيرًا ما نصادف عبارات من قبيل: "عن أية بلاغة نتحدث؟"، "هل هذه هي البلاغة كما نعرفها وكما تعلمناها"؟ "هل تغامر البلاغة بالاختفاء لصالح حقول أخرى؟ هل هذه "بلاغة" أم تحليل خطاب أم سيميائية أم تداولية أم ..؟ وهي عبارات تعكس قلق المفهوم، وتكشف عن حدوث تصادم بين المفهوم المستقر للبلاغة ومفاهيم جديدة تسعى للتفاوض معه. ويبدو هذا طبيعيًّا في الإطار المعرفي

الذي تتشكل فيه المفاهيم وفقًا لنماذج إرشادية تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقرار ودرجة أقل من المرونة، كما هو الحال في النموذج الإرشادي للبلاغة العربية. وفي الحقيقة فإن أحد أهداف ترجمة موسوعة أكسفورد في البلاغة يتمثل في تحفيزها للنقاش الأكاديمي حول ماهية هذا العلم وحدود مسائله وقضاياه وطبيعة علاقاته بغيره من العلوم.

كيف يُمكن أن تُقرأ موسوعة أكسفورد في البلاغة؟

تتألف الموسوعة من أكثر من مائتي مدخل تشتمل على مئات المصطلحات والمفاهيم. رُتبت المداخل في الأصل الإنجليزي ترتيبًا أبجديًا. وقد احتفظنا بالترتيب الأصلي لمداخل الموسوعة دون تغيير. ويمكن للقارئ العربي أن يقرأ هذه الموسوعة بطريقتين: (١) أن تُقرأ من المبتدأ إلى المنتهى، بوصفها سلسلة من الفصول التعريفية بعلم البلاغة على مدار أكثر من ثلاثة آلاف عام؛ (٢) أن تُقرأ بشكل انتقائي؛ حيث يتوجه القارئ نحو فصل معين يتناول مصطلحًا بلاغيًا أو ظاهرة أو مفهومًا من مفاهيمها أو مرحلة تاريخية من مراحل تطورها أو ثقافة من ثقافات إنتاجها أو نوعًا من أنواعها..إلخ. ولتيسير عملية القراءة يمكن للقارئ أن يطلع على الفهرس التفصيلي لموضوعات الموسوعة، أو أن يرجع إلى فهارس المصطلحات الواردة في خاتمتها، أو إلى قائمة مؤلفي الموسوعة وفهرس الأعلام الواردة في نهايتها.

استغرقت ترجمة موسوعة أكسفورد وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا. وكاد أن يكون الجهد مضاعفًا بفضل سياسة الاختيار المدقِّق والمراجعة المتأنية التي تبنيتها على مدار العمل. فقد اخترت فريق العمل بعناية شديدة من بين أفضل المشتغلين بالترجمة في حقلي البلاغة وعلم اللغة تحديدًا؛ وهم جميعًا أساتذة جامعيون في جامعات عربية وأوروبية وأمريكية، لكل منهم إسهاماته

الأكاديمية المتميِّزة في مجاله. إضافة إلى ذلك، فقد روجعتْ كل ترجمة ثلاث مرات على الأقل؛ الأولى مراجعة الترجمة على الأصل الأجنبي، والثانية مراجعة الترجمة بعد إدراج المترجم لتصويبات المراجع وتعديلاته، والثالثة مراجعة الترجمة العربية بأكملها بعد اكتمال العمل فيها. وذلك إضافة إلى العمل المتميز الذي قام به فريق المراجعة اللغوية في المركز القومي للترجمة. وفي الحقيقة فإن إدراكي المتواصل لأهمية هذه الموسوعة، ترك شعورًا أشبه ما يكون بوسوسة الكمال. ومع أنني أوقن أن كل عمل إنساني سيحفل – لا محالة – ببعض الهفوات والأخطاء، فإنني حرصتُ- قدر استطاعتي على أن لا أدفع بالموسوعة للنشر إلا بعد أن يستقر في يقيني أن هذا هو أفضل عمل يُمكن تقديمه للقارئ العربي.

شكر وعرفان

أود في ختام هذه التقدمة أن أتقدم بوافر امتناني للزملاء المشاركين في ترجمة الموسوعة، ممَّن تحملوا بصبرٍ محمودٍ عناء ترجمة مداخلها، واستجابوا بأريحيَّةٍ متناهية لتوصيات المراجعَين ومقترحاتهما. كما أشكر الدكتور مصطفى لبيب الذي حمل معي عبء مراجعة الترجمات على الأصل الإنجليزي. وأخيرًا فإن الشكر موصول للمركز القومي للترجمة الذي أخذ على عاتقه مسئولية إتاحة المصادر الأجنبية الأساسية للقارئ العربي المتعطش للمعرفة، وإلى الدكتور جابر عصفور، المدير السابق للمركز، الذي كان حماسه الشديد لترجمة الموسوعة حافزًا كبيرًا وراء إنجازها. وأخيرًا فإنني أهدي هذا العمل إلى الحالمين بتطوير بلاغتنا العربية، على أمل أن نخطو خطوات واثقة نحو إنتاج بلاغة عربية جديدة لعالم جديد.